

مجيء الشجرة كلها، ورجوعها، ثم كل نصف منها جاءت ولها دوي شديد - وقصفت كقصف أجنحة الطير

ابن أبي الحديد المعتزلي

من المعجزات النبوية الغيبية، معجزة مجيء الشجرة إلى النبي صلى الله عليه وآله بدعوتِهِ
إياها، وقد تكرر ذلك منه صلى الله عليه وآله في عدة موارد، أبرزها ما تحدت عنه أمير
المؤمنين عليه السلام حين طلب الملاء من قريش هذه المعجزة بالخصوص.
ما يلي نص كلام أمير المؤمنين عليه السلام كما أورده ابن أبي الحديد في (شرح نهج
البلاغة) مع تعليقه حول ذلك.

«وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ - فَقَالُوا
لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا - لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ
مِنْ بَيْتِكَ - وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ -
عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ
سَاحِرٌ كَذَّابٌ.»

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا:
تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرْوَتِهَا،
وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

سُئِلَ الْإِيمَانُ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؟ فَقَالَ:



أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

أشهد
أن محمداً

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - فَإِنْ فَعَلَ اللهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَنْتُمْ مُنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيضُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي «الْقَلْبِ» [حفرة ألقى فيها من قتل منهم يوم بدر] وَمَنْ يُحْرَبُ الْأَحْزَابِ.

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ - إِنْ كُنْتُ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنَّي رَسُولُ اللهِ فَانْقَلِعِي بِعُرْوِقِكِ، حَتَّى تَقْفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ.

وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرْوِقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصَفَتْ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْفَرَفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُضْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوءًا وَاسْتِكْبَارًا: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا.

فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا، كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا فَكَادَتْ تَلْتَفُتُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالُوا كُفْرًا وَعُتُوًّا: فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ، فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ.

فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، تَصْديقًا بِنُبُوتِكَ وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ.

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا، يَعْتُونِي.

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، سَيِّمَاهُمْ سَيِّمَاتِ الصِّدِّيقِينَ وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ. عُمَارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ يُحْيُونَ سُنْنَ اللهِ وَسُنْنَ رَسُولِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْطُونَ، وَلَا يَعْطُونَ وَلَا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالْإِمْلَاءُ مِائَةَ مَرَّةٍ وَمَرَّةٌ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَمَا زِدْتَ فَهُوَ أَفْضَلُ.

قال ابنُ أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٣٢٠):

«وأما حديثُ الشجرة فمشهورٌ مستفاضٌ رواه المحدثون في كتبهم، وذكره المتكلمون في معجزاته، صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من روى ذلك مختصراً أنه دعا شجرةً فأقبلت تحُدُّ الأرضَ حُدًّا. ونقله البيهقي في كتاب (دلائل النبوة)، وأما نداؤه، صلى الله عليه وآله وسلم، للشجرة، وقوله لها: إن كنتِ تؤمنين بالله، إلى قوله: بإذن الله، فقد علمت أن الخطابَ مخصوصَ في عُرف العقلاء لمن يعقل، لكنّه، صلى الله عليه وآله وسلم، لما وجّه نفسه القدسيّة من إعداد الشجرة لِمَا يرومُ منها، وعلمَ أنّها واجبة الاستعداد بذلك لقبول أمر الله بما أرادَ منها، خاطبها خطابَ مَنْ يعقل استعارة ملاحظة لشبهها بمن يعقل في إجابة نداءه وإتيانه، وفائدة ذلك الخطاب أن يكونَ وجودُ ما رامَ منها عقيبَ خطابهِ أغربَ، وفي نفوسِ الحاضرين أبلغَ وأعجبَ، فإذا كان وقوعُ تلك الحالِ بها غريباً كان كونُها على تلك الحالِ وفقَ خطابهِ ودعائه لها أغربَ، لزيادة إيهامِ كونها سمعت ذلك النداء وعقبت ذلك الخطابَ، مع أنّها ليس من شأنها ذلك، وأعجب في نفوس السامعين. ولذلك خرج هذا عن كونه سَفْهًا وَعَبَثًا.

وقال الإمام الوريّ رحمه الله: ونحو ذلك قوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي..﴾ هود: ٤٤».

عن أمير المؤمنين عليه السلام:
وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ "..." فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلَعَ بِعُرُوقِهَا، وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.